الثورة ALTHAWRAH
Friday : 20 The Al Haja 1434 - 25 October - Issue No. 17872

ثورية البردوني.. جذوة لم تنطفئ

عبدالرحمن مراد

> ظل البردوني حاملاً مشعل الثورة ولم تلن قناته دفاعاً عن قيم الحق والعدل والخير والسلام، وكان في جلّ مواقفه المعلنة في نظمه ونثره منحازاً إلى الجموع الهادرة المتطلعة إلى حياة آمنة وغدٍ يحمل تباشير الانتصار لطموحات الجماهير.

فبعد أن حلم بالثورة (في عتاب ووعيد) أفاق ذات فجر عنيد على حقيقتها، فوجد نفسه راقصاً ومتموجاً على إيقاع المتقارب وهو ينشدها:

أفقنا على فجر يوم صبي
فيا ضحوات المنى.. إطربي

وبعد أن تحققت الثورة كحلم تطلع إلى حلم آخر فكان أن حلم "بمدينة الغد":

من دهور.. وأنت سحر العبارة
وانتظار المنى وحلم الإشارة
كنت بنت الغيوب دهراً فنمّت
عن تجليك حشرجات الحضارة
نمّ عن فجرك الحنون ضجيج
ذاهل، يلتظى.. ويمتص ناره
كل شيء وشى بميلادك المو
عود واشتم دفئه واخضراره
بشّرت قرية بلقياك أخرى
وحكت عنك نجمة لمنارة
سوف تأتين كالنبوءات كالأمـ
ـطار كالصيف كانثيال الغضارة
تملأين الوجود عدلاً رخياً
بعد جور مدجَّج بالحقارة

وكانت حرب السبع السنوات التي أعقبت الثورة بمثابة العقبات التي تعيق الحلم في تدفقه وإنسيابية مجراه فوقف من أولئك القاتلين للحلم موقف الرافض والناقد لها كما يتجلى ذلك في نص (صديق الرياح) الذي يقول فيه:

وغايته أن يدير الحروب
ويبتز أسواقها المربحة
وما دام فيه بقايا دم
فمن صالح الجيب أن يسفحه
يجود بأشلائه ولتكن
لـ«إبليس» أو «آدم» المصلحة.

وبرغم كل تلك العوائق والعقبات التي تقف حائلاً أمام بلوغ الغايات وتحقيق الأمنيات يظل الأمل هو الرافد الحقيقي في تحقيق تطلعات الأنا الشاعرة والحالمة، إذ نجده في نهاية النص يقول:

سيدنو، فقد آن للسهد أن
ينام وللنوح أن يطربا
فعمر الرصاص كعمر سواه
وإن طال جاء لكي يذهبا
وقد يقمر الجوّ بعد اعتكار
وقد يبخل الأحمق الانجبا

ولم يكتف البردوني بالمظاهر الشكلية للثورة، بل استغور الذات لقياس المتغير الثقافي كما في نص (ذكريات شيخين) والذي يؤكد فيه على جسامة المهام الثورية، وفشل المسعى: يقول:

يا (علي) انظر ألاح المنتهى
لا انتهى المسعى ولا الساعي نجح
لم نعد نهنأ ولا نأسى ذوت
خضرة الأنس ذوت نار الترح
أو خبا الحسّ الذي كنّا به
نطعم الحزن، ونشتم الفرح
لم يعد شيء كما نألفه
فعلام الحزن أو فيما الفرح
دخلت صنعاء باباً ثانياً
ليتها تدري إلى أين افتتح

كان البردوني يؤمن أن حداثة المتغير ليس في ظاهر الشكل لكن في جدته وفرادة الرؤية التي يمتد منها لذلك فنحن ندرك من خلال قراءتنا لنصوصه ونثره تأكيده الدائم على أن التغيير امتداد مغاير لما هو كان لا انقطاع، لذلك فقد أنكر تلك القيم والسلوكيات التي جلبتها الأنظمة أو الجمهوريات المتعاقبة مما هو مماثل لها كالثورة الفرنسية أو المصرية، لذلك فهو ينتصر للإنسان تجاه الإجراءات التعسفية اللا إنسانية كما في نص (سفاح العمران) والذي يقول فيه:

سل ألف بيت عطلت
كفاك مهنتها الضنينة
كانت لأهليها متاجر
مثلهم، صغرى، أمينة
فطحنتها.. ونفيتهم
مَنْ للضحايا المستكينة
أجرجتهم كاللاجئين
بلا معين أو معينة
وكنستهم تحت النهار
كطينة تجترطينة
فمشوا بلا هدف بلا
زاد سوى الذكرى المهينة
يستصرخون الله والـ
«إنسان» والشمس الحزينة
وعيون أم النور خجـ
ـلى والضحى يدمي جبينه
والريح تنسج من عصير
الوحل قصتك المشينة.

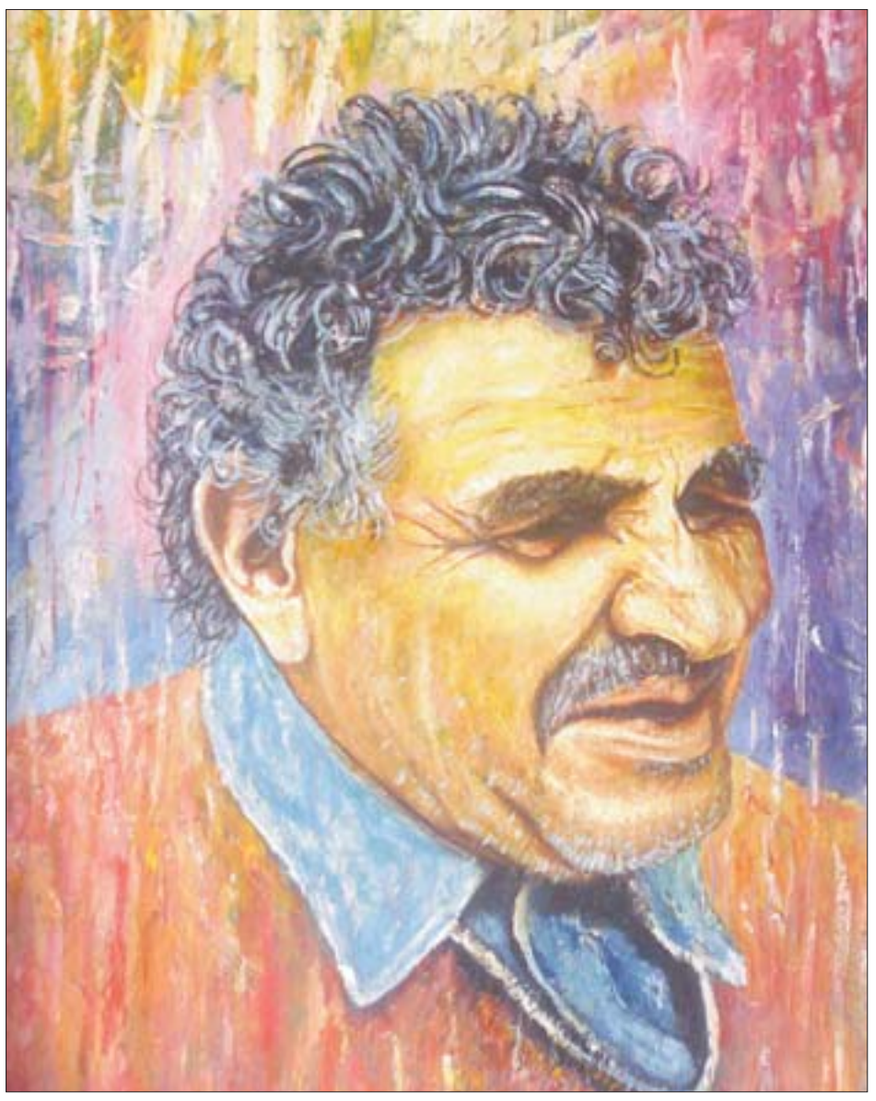

فهو يرى أن العمران لا يأتي على حساب الإنسان في تدمير مقدراته وكل مقومات حياته، وعيشه الذي يجب أن تضمنه السياسة بما يحقق له الأمن النفسي والاستقرار المعيشي والاجتماعي، لذلك فالمظاهر ليست ذات قيمة، لأنها لا تمتد إلى جوهر محدثه فيه تغيراً حضارياً وثقافياً واجتماعياً، لذلك فقد أنكر كل هذه المظاهر الشكلية التي لا تمتد إلى جوهر العمل الثوري التطهيري ووقف الناقد من هذه الأشكال المظهرية كما في نص (بطاقة-موظف-متقاعد) الذي يقول فيه:

سمعت (بلندن والباستيل)
وأعياد (عيسى) و (بابا نويل)
تطوّرت، سّميت بنتي صباحاً
دعوت المقهوي (مدير الهقيل)
تزوجت جانين، قلت اذهبي
إلى النار يا بنت (ناجي ثعيل).

فالبردوني هنا لا يرى ثورية الثورة في الأخذ بالمظاهر الشكلية الحضارية المعاصرة، ولا في الانقطاع عن المكون الحضاري والثقافي التاريخي ولكنه يرى أن ثورية الثورة يجب أن تتجسد في الإمتداد المتجدد لكل قيمنا الحضارية والثقافية بما يحفظ لنا هويتنا ويجسد طابعنا وفرادتنا.

والقارئ الحصيف يدرك مثل هذا الاتجاه في جل الأعمال الصادرة للبردوني سواء النثري منها أو المنظوم وقد تصدى البردوني للمظاهر السلبية التي رافقت المسيرة النضالية للثورة اليمنية إما رامياً إلى تأكيد الهوية الثقافية والحضارية أو مصححاً للمسار حين يدرك أن ثمة ظاهرة بدأت تطفو على السطح محدثة انحرافاً عن الأهداف والغايات النبيلة التي جاءت من أجلها الثورة.

وإذ كانت روحه انطفأت، فإن جذوة ثوريته مازالت تستبصر المستقبل وتكشف أسراره وغيومه من بين الأحداث التي عاشها فاستنطق منها معالم الآتي.

رحم الله البردوني الذي حلم بمدينة الغد فمات قبل أن تتحقق.

دمعةٌ على رصيفِ الحزن

محمد أحمد الشميري

يا من تناديني بلهفةِ عاشقٍ
تهوى انتشال الحب من بين الرِّمَمْ
هذا حنينُكِ جاءني من بعدما
جسرُ المحبة قد تفتت وانصرمْ
يا أنتِ يا من كنتِ لي كل المنى
وصدى ابتهالات حبي في القِدمْ
في سلةِ النسيانِ ألقيتِ الهوى
وطوت فؤادي منكِ أنواعُ الظُلَمْ
كيف استفاقَ النبضُ في وقتٍ به
نامَ العذابُ على الجراحِ ولم أنمْ
قلبي الذي انغرست سهامُك جوفَه
أوَاه كم غنّى لحبك وابتسمْ
((ماذا إليك الآن أكتبُ بعدما
جفت حروفُ الحب وانكسر القلمْ))
((كلُّ الأغاني بعد حبك أصبحت
رجع الصدى في هوة الصمت الأصمْ))
أنا لم أعد شيئاً بدونك لم تعد
روحي التي كانت تحلق في القممْ
أحيا حزيناً فيكِ يعصرني الأسى
وأعيشُ مهموماً يراودني السقمْ
تعبت حياتي من بكاءِ حبيبها
وتعبتُ من دنيا يحاصرها السأمْ
فلتحرقي ما كان في زمنِ الصبا
ولتهتفي ولّى الحبيبُ إلى العدمْ
ماتت قصيدة حبنا وتأسنت
لم يبقَ من ذكرى هواكِ سوى الألمْ
فدعي الفؤاد ليستريح من الهوى
ودعي حياتي يستبد بها الندمْ
ولتعرفي ما عشتِ يا كلَّ المنى
أني اللئيمُ وأنتِ بحرٌ من كرمْ

لغة الأرقام والسيطرة

يعيش العاملون في مختلف قطاعات النشاط الاجتماعي والاقتصادي والسياسي، وغيرها من الميادين، نوعاً من السباق المحموم لتحقيق التفوّق على الآخرين، بل والتفوّق على النفس، عبر الإنتاج أكثر والنشاط أكثر والاستقلال الذاتي أكثر. فمستويات مختلفة من التقييم في انتظار النتائج. ذلك على أساس:

المقارنة مع الآخرين، إعطاء درجات في الكفاءة والإنتاج. والحصيلة هي أن النشاط المهني غدا بصورة عامة، نمطاً من المنافسة من أجل تحقيق رقم أكبر وإظهار قدر أكبر من الكفاءة. هذه المعايير كلها أعطيت تسمية هي: "بينشماركينغ".. وهو بالتحديد موضوع كتاب الباحثين، إيزابيل برونو ايمانويل ديدييه.

يشير المؤلفان منذ البداية، إلى أن تعبير "بينشماركينغ"، فرض نفسه واقعياً في عالم العمل، بقطاعيه العام والخاص، في البلدان الغربية، وأبعد منها، على الصعيد العالمي إلى حد كبير. وانه ربما لا يكون معروفاً من الجميع، لكن "ممارسته معروفة تماماً". إذ تجري عمليات التصنيف التراتبي للبلدان أو المنظمات أو الشركات أو الأفراد، تبعاً لمجموعة معايير محددة ومثبتة مسبقاً. ويحظى المتفوقون، عادة بمكافآت، بينما توجه الملاحظات للمتخلفين في الترتيب.

يوضح المؤلفان في تحليلاتهما، أنه مهما بدت عمليات التقييم والتصنيف حيادية من حيث إنها تعتمد على قواعد وتقنيات محددة ظاهرياً، تمثل في واقع الأمر أداة لتوجيه أنماط سلوك العاملين، بل وأداة فاعلة بمقدار ما يبقى هذا البعد في القيادة مخبوءاً ولا يلاحظه الآخرون. والقياس في هذه العمليات كلها، يقوم على مبدأ مركزي في تسيير الأعمال، يعتمد جوهرة على التقييم المنبني على المنافسة.

الانتشار الكبير للمفهوم الجديد في فترة زمنية قصيرة، يجد المؤلفان آثاره في طريقة إدارة العمل في مؤسسات متنوعة، تمتد من شركة "كزيروكس"، حتى مقر "المفوضية الأوروبية" في بروكسل، ومن نيويورك إلى "محافظة الشرطة في باريس". وتبيان الآليات التي غدت فيه هذه الأداة المسماة "بينشماركينغ"، وسيلة مركزية في يد البيروقراطيين المعاصرين، يستخدمونها من أجل فرض موازين جديدة، تميل الى لصالحهم في ما يتعلق بعلاقات العمل والسيطرة.

ويشرح المؤلفان، أن الانتشار السريع لتبنّي أداة التقييم القائم على المنافسة، تعود في الدرجة الأولى، إلى واقع التشابه، بل والتطابق تقريباً، في ما يخص المشكلات التي تواجهها مختلف الشركات والمؤسسات، الخاصة منها والعامة. ومن هنا تأتي سهولة انتقال تقنيات تسيير الأعمال من قطاع إلى آخر.

النتيجة المباشرة لمثل هذه المقولات، نوع من "الانحياز في تسيير الأمور العامة لمنطق عالم الأعمال البزنس".

تتمثل إحدى الأفكار الأساسية في الكتاب، بالقول: إن المنظور التنافسي المعني، دخل في منطق عمل الدولة نفسها، والتي غدت تحت ضغط الإحصاءات، كما يقول العنوان الفرعي للكتاب. ويشير المؤلفان إلى ان "لجوء الدولة للعمليات الإحصائية ليس جديداً"..

ويعود في الغرب إلى نهايات القرن التاسع عشر، إذ نُظر إليه باعتباره: "علم الدولة". والجديد في سلوكيات الدولة، استخدامها لغة الأرقام، لفرض سيطرتها أكثر. ويبقى المهم، برأي المؤلفين، إصلاح الدولة ومقاومة هيمنة الأرقام، لصالح العمل الاجتماعي.

المؤلفان في سطور

ايزابيل برونو، أستاذة في جامعة ليل الفرنسية، وباحثة في "مركز الدراسات والبحوث الإدارية والسياسية والاجتماعية"، من مؤلفاتها: الإستراتيجية الأوروبية لمعاهدة برشلونة.

ايمانويل ديدييه، باحث في المركز الوطني الفرنسي للبحث العلمي. من مؤلفاته: ما هي أميركا بالفعل: الإحصاءات والإصلاح الجديد والديمقراطية.

الكتاب: بينشماركينغ.. طغيان الأرقام والمنافسة
تأليف: ايزابيل برونو، ايمانويل ديدييه
الناشر: زون- باريس 2013 - الصفحات: 250 صفحة - القطع: المتوسط

إصدارات

"الماء الذهب الأزرق"

صدر حديثاً كتاب "الماء الذهب الأزرق في الوطن العربي"، للدكتور خالد الزواوى، عن مجموعة النيل العربية للنشر والتوزيع بالقاهرة.

يتحدث الكتاب عن الماء باعتباره أحد الموارد الطبيعية المتجددة على كوكب الأرض، وتعانى أغلب مناطق الوطن العربى من ندرة المياه، وتحولها فى بعض المناطق إلى مياه غير صالحة للاستخدام، وتسرى مشكلة المياه على كل المصادر المائية فى الوطن العربى.

ويهدف الكتاب إلى الإسهام فى حفز الاهتمام العربى العام والخاص بقضية خطيرة يجب ألا نفاجأ بنتائجها، ويجب ألا تغيب عنا وألا نغيب عنها، وهى تتعلق بالمياه والقضايا المرتبطة بها.

ويعد الاهتمام والإدراك، وإعادة النظر فى الاتفاقيات والاستهلاك والترشيد، الخطوة الأولى واللازمة نحو إنضاج آليات مؤسسية عربية متقدمة للتعامل الكفء مع مشكلة المياه فى المنطقة التى تمثل الشرط الأول لإعمال مشروع مائى عربى يحقق الأمن المائى على جميع المستويات، مما يفضى إلى تحقيق الطموحات العربية الاقتصادية والسياسية والإستراتيجية، ومن ثم الارتقاء بمستوى معيشة الإنسان العربى.

وتتضافر العديد من العوامل النابعة من الحقائق الجغرافية والتاريخية والاقتصادية والسياسية والإستراتيجية، لتجعل من مشكلة المياه فى المنطقة العربية مشكلة متعددة الأبعاد، ولا تقتصر تلك المشكلة على مصدر مائى بعينه، بل إنها تسرى على كل المصادر المائية فى المنطقة.

كما يدور الكتاب حول المشكلة المائية متعددة الأبعاد من منظور متعدد أيضًا، كمحاولة لفتح الباب أمام القارئ لينطلق عبر عملية تجسيد متتالٍ بدءًا بالإحاطة بسائر جوانب وأبعاد الموضوع، وانتهاء باستشراف المستقبل المائى للمنطقة.

مفهوم الثقافة في العلوم الاجتماعية

صدر عن المنظمة العربية للترجمة ببيروت كتاب "مفهوم الثقافة في العلوم الاجتماعية" تأليف دنيس كوش، ترجمة د. منير السعيداني ومراجعة د. الطاهر لبيب.

في هذا الكتاب عرضٌ مختصرٌ، واضحٌ ودقيق، لمسارات مفهوم الثقافة واستعمالاته في العلوم الاجتماعية. وهو لا يتوجّه إلى الطلاب وإلى شباب الباحثين فحسب وإنما إلى كلّ المهتمّين بأسئلة الثقافة، كما طرحتها العلوم الاجتماعية المختلفة. وإذا اعتبرنا ما عليه مفهوم الثقافة من تَسيّب في التعريف والاستعمال، عربيّاً، تبيّنت الحاجة إليه أكثر.

هذا الكتاب "يعرض حصيلةً نقدية وكاملةً للموضوع. إنه يقوم بتحاليل كثيرة الدّقة ويقدّم أجوبةً متينةً تدلّ على تمكّن قويّ من مجاله المعرفي. كل ذلك بإيقاع لا يختلّ. إنه يمثل وسيلة عمل لا غنىً عنها [....] بالنسبة لعالم الاجتماع وللمؤرخ وللفيلسوف ولعالم النفس".

ليالي الحرير

الرباط

عن الدار المصرية اللبنانية ومكتبة الدار العربية للكتاب صدرت للكاتبة والشاعرة المغربية عائشة البصري رواية تحمل عنوان 'ليالي الحرير' في طبعة أنيقة من 184 صفحة من القطع المتوسط . نقرأ في الغلاف الأخير كلمة تقديمية للناشر وشهادات لكل من الروائي الجزائري واسيني الأعرج والروائي المصري إبراهيم عبد المجيد والشاعر المغربي نجيب خداري.

ليالي الحرير هي أول رواية للشاعرة عائشة البصري بعد ست مجموعات شعرية صادرة بين المغرب وسوريا وبيروت. وحقيبتين فنيتين. بالإضافة لعشر مختارات شعرية مترجمة إلى لغات أجنبية منها: الإسبانية والفرنسية والتركية والإيطالية والألمانية صدرت للشاعرة في بلدان مختلفة فرنسا ، إسبانيا، إيطاليا، تركيا، الشيلي، كوستاريكا ....

الرواية شهادة صريحة عن حياة، أزمة قلبية حادة أدخلت الساردة في غيبوبة، فكانت منعطفا حاسما ، لحظة تجلٍ ومكاشفة، وتصفية حساب لامرأة مع أصدقاء أَلِدّاء: الرجل، المرض، الحياة، الموت... حيث تتسامى حالات صراع الأنثى في العالم العربي وآلامها إلى مستويات عالية من التأمل الوجودي والقلق الروحي العميق والمضيء. استنادا لثقافة روائية شديدة الرهافة أفصحت عنها حداثة السرد، وغرائبيته ،ومكره اللذيذ .

تتداخل في هذا المحكي، كثير من الأزمنة والأمكنة، والأحداث، يَلْحم تباعدَها، واختلافَ أشكالها وألوانها وعطورها، حلمٌ لا ينتهي... حلم، أحلام، ترفو جسدَ الساردة وسردها بخيوط من وهم اسمه الحياة.

الرواية مركبة ومبنية على ثلاثة عناصر: عنصر الحاضر الذي يعيد المريضة أو الساردة إلى كل ما يحيط بها.

وعنصر الكابوس أو الحلم الذي تنشأ فيه أجزاء مهمة من الرواية. وهي طريقة سمحت باللعب أدبيا بين حاضر يصعب السيطرة عليه وحلم يسمح للساردة بأن تستعيد حياة لم تكن سهلة. إضافة إلى عنصر الغيبوبة، البرزخ الذي يربط بين عالم الموتى وعالم الأحياء.

حيث تتنقل الساردة بينهما بسلاسة بحثا عن أجوبة لم تجدها في الحياة فسعت إليها في الموت.

شخصيات الرواية ملتبسة تتقاطع حيواتها في الكثير من الأحيان، بما فيها الشخصيات التي آلت تقديم نفسها من خلال إنطاق الهوامش، تقاطع يخضع للصدف وعشوائية الأقدار أكثر مما يخضع لمنطقية الأحداث.

الشخصيات كلها ميتة بما فيها الساردة التي لا تعي موتها بل حتى الروائية التي من المفروض أن تكون عالمة بكل شيء في هذا الفضاء الروائي ليس لديها اليقين بموت أو حياة الساردة وهذا ما يجعل ليالي الحرير رواية غير عادية.

رواية ليالي الحرير هي بحث مضن، هي الذهاب بعيدا حتى الموت بحثا عن أجوبة لأسئلة الحياة.c

الاسلاميون والديمقراطية

بيروت

'صدر حديثا عن المركز العربي للابحاث ودراسة السياسات كتاب جديد عنوانه 'الاسلاميون ونظام الحكم الديمقراطي: اتجاهات وتجارب'.

وهذا الموضوع جديد، الى حد ما، في الفكر السياسي العربي المعاصر على الرغم من كثرة الحديث عنه في الصحافة ووسائل الاعلام والمنتديات السياسية والندوات الفكرية. غير ان معظم الكتابات التي تصدت لهذا الموضوع بقيت في الاطار النظري حتى بعد وصول الاسلاميين الى السلطة في بعض البلدان العربية. وهذا الكتاب يعكس، ببحوثه المتنوعة والخلافية ،الحيوية الفكرية التي اطلقها تسلم الاسلاميين الحكم، وهو يتناول الاتجاهات الفكرية التي تحدد المسارات السياسية لهذه الجماعة او تلك، وكذلك التجارب العيانية في تونس ومصر والعراق والسودان، علاوة على حزب الله في لبنان.

شارك في كتابة بحوث هذا الكتاب كل من كمال عبد اللطيف عن 'فكر النهضة والثورات العربية'، وامحمد جبرون عن 'حزب العدالة والتنمية' في المغرب، ومروة فكري عن 'نتائج الانتخابات المصرية بعد ثورة 25 يناير'، وخليل العناني عن 'تفاعلات الدين والايديولوجيا والتيارات السلفية في مصر'، ومعتز الخطيب عن 'الوسطية الاسلامية'، ورشيد مقتدر عن 'القوى الاسلامية وتحالفاتها قبل الربيع العربي وبعده'، وفرح كوثراني عن 'نقد ولاية الفقيه لدى محمد مهدي شمس الدين، وتناول عبد الوهاب الافندي وشمس الدين ضو البيت ومحمد السيد سليم وأنور الجمعاوي وحمادي ذويب ورشيد الخيون تجارب الحكم في السودان ومصر وتونس ولبنان والعراق على التوالي، فضلا عن طلال عتريسي وسعود المولى اللذين قدما قراءة سياسية وتاريخية واجتماعية لتجربة حزب الله في السياسة اللبنانية.